

(وَإِنْ تَعَجَبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَنْدَا كُنَّا تُرَابًا أَنْتَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أَوْلَيْكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأَوْلَيْكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأَوْلَيْكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٥)) .
[الرعد : ٥] .

(وَإِنْ تَعَجَبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَنْدَا كُنَّا تُرَابًا أَنْتَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ) قيل : إن تعجب يا محمد من تكذيبهم لك بعد ما كنت عندهم من الصادقين فأعجب منه تكذيبهم بالبعث .

وقيل : معناه وإن تعجب من اتخاذ المشركين ما لا يضرهم ولا ينفعهم آلهة يعبدونها مع إقرارهم بأن الله تعالى خالق السماوات والأرض ، وهو يضر وينفع وقد رأوا من قدرة الله وما ضرب لهم به الأمثال ما رأوا فعجب قولهم .

وقيل : وإنك إن تعجب من إنكارهم النشأة الآخرة والبعث بعد الموت مع إقرارهم بأن ابتداء الخلق من الله فعجب قولهم وذلك أن المشركين كانوا ينكرون البعث بعد الموت مع إقرارهم بأن ابتداء الخلق من الله وقد تقرر في النفوس أن الإعادة أهون من الابتداء فهذا موضع التعجب

(قَوْلُهُمْ أَنْدَا كُنَّا تُرَابًا) يعني بعد الموت .

(أَنْتَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ) يعني نعاد خلقاً جديداً بعد الموت كما كنا قبله .

● قال ابن كثير : وَقَدْ عَلِمَ كُلُّ عَالِمٍ وَعَاقِلٍ أَنَّ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ، وَأَنَّ مَنْ بَدَأَ الْخَلْقَ فَاِلْعَادَةَ عَلَيْهِ أَسْهَلُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى (أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَنْ يَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ بِمَقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُجِيبَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) .

(أَوْلَيْكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ) فيه كفر من أنكر البعث .

(وَأَوْلَيْكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ) الأغلال : جمع غل ، وهو طوق تشد به اليد إلى العنق ، أي : يغلون بها يوم القيامة .

كما قال تعالى (إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ * فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ) .

(وَأَوْلَيْكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) أي : ما كثون فيها أبداً لا يحولون عنها ولا يزولون .

● وقد تنوعت طرق إثبات البعث في القرآن، وجاءت على سبع طرق:

الطريقة الأولى: آيات صريحة في إثبات ذلك:

قال تعالى: (ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ) . وقال تعالى: (وَالْمَوْتَى يُبْعَثُهُمُ اللَّهُ) . وقال تعالى: (وَلَا تُخْزِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ) . وقال تعالى: (يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فاعِلِينَ) . وقال تعالى: (أَلَا يَظُنُّ أَوْلَيْكَ أَنَّهُمْ مُبْعَثُونَ . لِيَوْمٍ عَظِيمٍ . يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) .

وأمر نبيه أن يقسم به على المعاد:

فقال تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ) .

وقال تعالى: (وَيَسْتَبْشِرُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقُّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ) .

وقال تعالى: (زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) .

وذم الله المكذبين بالمعاد:

فقال تعالى: (قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ) .

وقال تعالى: (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعَدَّا عَلَيْهِ حَقًّا) .

الطريقة الثانية: التذكير بنشأة الإنسان الأولى:

قال تعالى: (فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ. خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ ذَافِقٍ. يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ. إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ). وقال تعالى: (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ. قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ).

والذي أنشأها أول مرة هو الله ، فإذا كان الله أنشأها أول مرة فهو قادر على إعادتها ، لأن الإعادة أهون من الابتداء .

الطريقة الثالثة: الاستدلال بإنبات النبات على إحياء الأموات:

قال تعالى: (فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ). وقال تعالى: (وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ. ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ) وقال سبحانه: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ).

الطريقة الرابعة: الإشارة ولفت الانتباه إلى خلق السماوات:

قال تعالى: (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَنْ يَعْبُدُ بِحُلُقُهُنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ).

وخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس كما قال تعالى (لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس) وهذا أمر معلوم بالحس والمشاهدة ، فالبشر كلهم لا يساوون كوكباً من الكواكب ، فما بالك بهذه الكواكب والنجوم التي لا يحصيها إلا الله .

الطريقة الخامسة: تنزيه الله سبحانه عن العبث.

فلو فرضنا أنه لا جزاء ولا حساب ولا بعث، فما فائدة الأوامر والنواهي.

قال تعالى: (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ. فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ).

وقال تعالى: (أَلَيْسَ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى). أي: لا يؤمر ولا ينهى، وقيل لا يبعث.

الطريقة السادسة: تنزيه الله عن الظلم:

فلو لم يكن هناك بعث لا استوى الناس، فاستوى المؤمن الذي ترك كثيراً من الشبهات مخافة ربه، والكافر لا يعرف ربه أصلاً.

قال تعالى: (أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ).

الطريقة السابعة: ذكر وقائع وأحداث يستدل بها على البعث.

كما في قصة قتيل بني إسرائيل.

وقصة الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت.

وقصة الذي مرّ على قرية وهي خاوية على عروشها.

وقصة إبراهيم عليه السلام والطيور الأربعة.

وقصة أصحاب الكهف، فقد أماتهم الله في الكهف ثلاثمائة وتسع سنين، قال تعالى في قصتهم: (وَكَذَلِكَ أَعْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا

أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ ...

الفوائد :

١- التعجب من إنكار البعث مع وضوح أدلته وقدرة الله تعالى .

٢- وجوب الإيمان بالبعث .

٣- كفر من أنكر بالبعث ..

٤- أن الكافر مخلد في النار لا يخرج منها .

(وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ وَإِنَّ رَبَّنَا لَدُوٌّ مَغْفِرَةٌ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّنَا

لَشَدِيدُ الْعِقَابِ (٦))

[الرعد : ٦] .

(وَيَسْتَعْجِلُونَكَ) أي : هؤلاء المكذبون .

(بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ) بالعقوبة والعذاب ، وذلك لفرط إنكارهم وتكذيبهم .

فالمراد بالسيئة ههنا نزول العذاب عليهم ، وإنما سماوا العذاب سيئة لأنه يسوءهم ويؤذيهم .

• قال الحازن : الاستعجال طلب تعجيل الأمر قبل مجيء وقته ، والمراد بالسيئة هنا هي العقوبة وبالْحَسَنَةِ العافية .

• قال الألوسي : قوله تعالى (وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ) بالعقوبة التي هددوا بها على الإصرار على الكفر استهزاءً وتكذيباً (

قَبْلَ الْحَسَنَةِ) أي العافية والسلامة منها . (التفسير) .

كما قال تعالى (وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ) .

وقال تعالى (وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ) .

وقال تعالى (يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ) .

وقال تعالى (وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْعَانًا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ) أي : عقابنا وحسابنا .

وقال تعالى عن قوم هود (قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) .

وقال تعالى (وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) .

• قال الشنقيطي : وسبب طلبهم لتعجيل العذاب هو العناد، وزعم أن النبي ﷺ كذاب فيما يخوفهم به من بأس الله وعقابه .

كما قال تعالى (وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْسِبُهُ) .

وكقوله (يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ) .

وقوله (قَالُوا يَا نوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) .

(وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ) أي : وقد أوقعنا نعمنا بالأمم الخالية ، وجعلناهم عبرة وعظة لمن اتعظ بهم .

• قال ابن عطية : ... وقرأ الجمهور " المثلثات " بفتح الميم وضم الناء .

فالمثلثات : العقوبات التي مثل الله تعالى بها الأمم الماضية .

• قال الحازن : والمثلة بفتح الميم وضم الناء المثلثة نقمة تنزل بالإنسان فيجعل مثلاً ليرتدع غيره به .

- وقال ابن عاشور : وهي العقوبة الشديدة التي تكون مثلاً تمثل به العقوبات .

• قال القبايعي : (مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ) جمع مثله بفتح الميم وضم المثلثة كصدقة وصدقات ، سميت بذلك لما بين العقاب

والمعاقب عليه من المماثلة ، وهي العقوبات التي تترجم عن مثل ما وقعت لأجله من الأمم الذين اتصلت بهم أخبارهم ،

وخاطبتهم بعضهم ما اتفق لهم آثارهم وديارهم ، وما يؤخرهم الله إلا لاستيفاء آجالهم التي ضربها لهم مع قدرته التامة عليهم .

(وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ) وهو الستر والصفح ، بالإمهال وتأخير العقاب إلى الآخرة ، أي : إنه ذو صفح عظيم لا يعاجل بالعقوبة . مع أنهم يظلمون ويخطئون بالليل والنهار . كما قال سبحانه (وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرهَا مِنْ دَابَّةٍ) .

● قال ابن عاشور : وسياق الآية يدل على أن المراد بالمغفرة هنا التجاوز عن المشركين في الدنيا بتأخير العقاب لهم إلى أجل أَرَادَهُ اللهُ أَوْ إِلَى يَوْمِ الْحِسَابِ ، وأن المراد بالعقاب في قوله (وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ) ضد تلك المغفرة وهو العقاب المؤجل في الدنيا أو عقاب يوم الحساب ، فمحمل الظلم على ما هو المشهور في اصطلاح القرآن من إطلاقه على الشرك . (وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ) لما بين تعالى سعة حلمه قرنه ببيان قوة عقابه ؛ ليعتدل الرجاء والخوف ، فقال سبحانه (وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ) أي : لمن شاء ، .

كما قال تعالى (فَإِنْ كَذَّبْتُمْ فَتَقُلُّوا رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ) .

وقال تعالى (إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) .

وقال سبحانه (نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ) .

وقال تعالى (غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ) .

● قال الشنقيطي : بين - جل وعلا - في هذه الآية الكريمة أنه ذو مغفرة للناس على ظلمهم ، وأنه شديد العقاب . فجمع بين الوعد والوعيد ليعظم رجاء الناس على فضله ، ويشدد خوفهم من عقابه وعذابه الشديد . لأن مطامع العقلاء محصورة في جلب النفع ودفع الضرر ، فاجتماع الخوف والطمع أدعى للطاعة كما تقدم في الآيات السابقة .

● فينبغي على المسلم أن يكون راجياً خائفاً .

وقد امتدح الله الأنبياء والعباد الصالحين بالرغبة والرهبة .

فقال تعالى (إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ) .

عَنْ أَنَسٍ (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَى شَابٍ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ فَقَالَ « كَيْفَ بَجْدِكَ » . قَالَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَرْجُو اللَّهَ وَإِنِّي أَخَافُ دُؤُوبِي . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْمُؤْمِنِ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا يَرْجُو وَأَمَنَهُ بِمَا يَخَافُ) . رواه الترمذي

وقد وصف الله المؤمنين بعمل الصالحات مع الخوف من الله .

كما قال الله تعالى (أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ) .

وقال تعالى (وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ) .

عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت (سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ (وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ) قَالَتْ عَائِشَةُ أَهْمُ الَّذِينَ يَشْرِبُونَ الْحُمْرَ وَيَسْرِقُونَ قَالَ : لَا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ وَلَكِنَّهُمْ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنْهُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ) رواه الترمذي .

وقد ذكر الله تعالى الخوف مقروناً بالرجاء في كتابه الكريم في مواضع كثيرة .

قال تعالى (أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ) .

وقوله تعالى (اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

وقوله تعالى (تَبَاءَ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ) .

وقوله تعالى (أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا) .

وقوله تعالى (إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا).

وكما في قوله سبحانه (يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا).

ولهذا قال السلف - رحمهم الله - كلمة مشهورة، وهي: مَنْ عبدَ الله بالحُبِّ وحده، فهو زنديق، ومن عبدَه بالخوف وحده، فهو

حروريٌّ - أي: خارجي - ومن عبدَه بالرَّجاء وحده، فهو مرجئ، ومن عبدَه بالخوف والحب والرَّجاء، فهو مؤمن موخِّد.

● قال ابن القيم: القلب في سيره إلى الله - عزَّ وجلَّ - بمنزلة الطائر؛ فالحُبَّة رأسه، والخوف والرَّجاء جناحاه، فمتى سلِم الرأس

والجناحان، فالطائر جيِّد الطيران، ومتى قطع الرأس، مات الطائر، ومتى فقد الجناحان، فهو عرضة لكل صائدٍ وكاسر.

● وقال ابن القيم: من تأمل الصحابة وجدهم في غاية الجد في العمل مع غاية الخوف.

كان الصديق يقول: وددت لو أني شعرة في جنب عبد مؤمن.

وكان يمسك بلسانه ويقول: هذا الذي أوردني الموارد.

وكان يبكي كثيراً ويقول: ابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا.

وهذا عمر قرأ سورة الطور إلى أن بلغ قوله (إن عذاب ربك لواقع) فبكى واشتد بكأؤه حتى مرض وعادوه.

وكان يمر بالآية في ورده بالليل فتخنقه العبرة، فيبقى في البيت أياماً ويعاد ويحسبونه مريضاً.

وكان في وجهه خطان أسودان من البكاء.

وهذا عثمان كان إذا وقف على القبر يبكي حتى تبتل لحيته.

وهذا علي وبكأؤه وجوفه، وكان يشتد خوفه من اثنين: طول الأمل، واتباع الهوى، قال: فأما طول الأمل فينسي الآخرة، وأما

اتباع الهوى فيصد عن الحق.

وهذا ابن عباس كان أسفل عينيه مثل الشراك البالي من الدموع.

● وكان أبو ذر يقول: يا ليتني كنت شجرة تعضد، وودت أني لم أخلق... (الجواب الكافي).

● قال الحسن البصري: المؤمن يعمل بالطاعات وهو مشفق وجل خائف، والفاجر يعمل بالمعاصي وهو آمن.

تنبيه: وَذَكَرَ الطَّمَعُ الَّذِي هُوَ الرَّجَاءُ فِي آيَةِ الدُّعَاءِ؛ لِأَنَّ الدُّعَاءَ مَبْنِيٌّ عَلَيْهِ فَإِنَّ الدَّاعِيَ مَا لَمْ يَطْمَعْ فِي سُؤَالِهِ وَمَطْلُوبِهِ لَمْ تَتَحَرَّكَ

نَفْسُهُ لِطَلْبِهِ؛ إِذْ طَلَبَ مَا لَا طَمَعَ لَهُ فِيهِ مُتَتَبِعٌ.

● قال حكيم: الحزن يمنع الطعام، والخوف يمنع الذنوب، والرجاء يقوي على الطاعة، وذكر الموت يزهدي في الفضول.

الفوائد:

١- شدة تكذيب وعناد الكفار حيث يستعجلون بالعذاب استهزاء وابتعاداً .

٢- أن الكفار لا يعتبرون بما حصل للأمم المكذبة من قبلهم .

٣- أن من علامة الإيمان الاعتبار بما حصل للأمم المكذبة .

٤- حلم الله على عباده ، حيث لا يعاجلهم بالعقوبة .

٥- سعة مغفرة الله .

٦- شدة عقاب الله لمن كذب وتمادى .